وقفات روحية في القران الكريم

الاستاذ الدكتور
سعيد حسين علي الثلاب
الاستاذ الدكتور
هناء جواد عبدالسادة
جامعة بابل ـ كلية التربية للعلوم

Spiritual stops in the Holy Quran

Prof. Dr
Saeed Hussein Ali Thalab
Prof. Dr
Hana Jawad Abdel Sada
University of Babylon - College of Education for Science

الملخص:-

ان العبد المتقي يؤمن بالغيب فلا تقوم حواجز الحس دون الاتصال بين روحة والقوى الكبرى التي صدر عنها هذا الوجود ، ولا تقوم حواجز الحس بين روحه وسائر ما وراء الحس من حقائق وقوى وطاقات وخلائق وموجودات ، وعندها يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الخير الصغير المحدد الذي تدركه الحواس ، وشتان بين من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بصيرته ، ويشعران مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير ، وان وراء هذا الكون حقيقه اكبر من الكون ، هي التي صدر عنها وستمد من وجودها وجوده '' أنها الذات الإلهية المتعالية التي لا تدركها الابعاد ولاتحيط بها العقول

ومن هنا جاءت وقفاتنا الروحية في سور الانفاق في سبيل الله واحتساب الحقل الطاقوي للانفاق .. ومن الله التوفيق..

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الانسان، الرقاب, سورة البلد.

Abstract:-

The God-fearing servant believes in the unseen, so the barriers of the senses do not stand without contact between his soul and the great powers from which this existence emanated, and the barriers of senses do not rise between his soul and all that is beyond the senses of realities, powers, energies, creatures and beings, and then he realizes that existence is greater and more comprehensive than that specific small good that he Perceived by the senses, and there is a difference between the one who lives in the small space that his senses perceive, as if he lives in the big universe that his insight perceives, and they feel its scope is wider in time and space than everything that his consciousness perceives in his short life, and that behind this universe is a reality greater than the universe, which is the one that emanated from it. And it will extend from its existence its existence." It is the transcendent divine self that is not comprehended by dimensions and not surrounded by minds

Hence our spiritual standing in the wall of the tunnels for the sake of God and the calculation of the energy field of the tunnels.. and from God is success..

Keyword: The Holy Quran, the human being, the necks, Surat Al-Balad.

وقفة روحية مع سورة البلد المباركة:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾ [البلد/١-٢٠].

إنَّ الأنس بالواحد الأحد ما هو إلّا استبشار القلب بما يلاحظه من المحبوب بعد الوصول, فيغلب عليه الأنس بالله جلّ جلاله, قال الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه- في وصفهم: "هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر, فباشروا روح اليقين, واستلانوا ما استوعده المترفون, وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون, صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى, أولئك خلفاء الله في أرضه, والدعاة إلى دينه"(١).

ومن هنا تكون الوقفة الروحية مع سورة البلد المباركة ((الأُنس بالله)) في كل آية مباركة من هذه السورة القصيرة التي تحمل حقائق كبرى ولها فضل كبير, قال رسولنا الأعظم(ﷺ): من قرأها أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة. وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "من كان قراءته في الفريضة: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ كان في الدنيا معروفاً أنه من الصالحين, وكان في الآخرة.. من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين"(٢).

إنَّ الوقفة الروحية مع سورة البلد المباركة تتولد من الصحبة الدائمة معها, التي تنبع من الأُنس بالله عزَ وجل والقرب من بساطه القدسي, ويدل عليه ما ورد في أخبار داود: "إنَّ اله – عزّ وجل- أوحى إليه: يا داود! أبلغ أهل أرضي: أنّي حبيب لمن أحبني, وجليس لما جالسني, ومؤنس لمن آنس بذكري, وصاحب لمن صاحبني, ومختار لمن اختارني, ومطيع لمن أطاعني, ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلّا قبلته لنفسي, وأحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي, من طلبني بالحق وجدني, ومن طلب غيري لم يجدني, فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها, وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي, وائنسوا بي أؤانسكم وأسارع إلى محبتكم"(٣).

وعندما يكون قارئ هذه السورة المباركة من الذين أحبهم الله عزّ وجل ونالوا مكانة الأُنس به, عندها يدرك بعلم اليقين أنّ الإنفاق في سبيل الله هو السبيل لنيل هذه الدرجة واقتحام العقبة..

ويمكن أن نقف عند تفسير السورة المباركة في وقفات روحية ضمن الإطار العام للوقفة الأساسية ((الأُنس بالله)) التي وصل إليها قارئ سورة البلد المباركة.

الوقفة الأولى: تبدأ السورة بالقسم العظيم على حقيقة في حياة الإنسان ثابتة وهي ((الكبد))..

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ ﴿البلد/١٤﴾.

تبدأ السورة المباركة بالقسم: قسماً بهذه المدينة المقدسة مكة.. هذه الأرض المشرفة فهي أول أرض للتوحيد ولعبادة الله عزّ وجل.. ومكة بيت الله الحرام بيت إبراهيم وإسماعيل(عليهما السلام).. ولذلك أقسم الله عزّ وجل بها.. ثم يأتي التكريم العلوي ليضيف عاملا آخر على هذه المدينة المقدسة ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾.. فالبلد استحق أن يقسم به جلّ جلاله لوجودك أنت أيُّها النبي الكريم فيه! إنَّه التكريم الإلهي لرسول الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يعاني ما يعاني من المشركين في حرمة البيت..

ولعلّ هذا المعنى يرشح لاعتبار: ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾.. إشارة خاصة إلى إبراهيم, أو إلى إسماعيل – عليهما السلام- وإضافة هذا القسم بالبلد والنبي المقيم به, وجانبه الأول وما ولد.. وإن كان هذا الاعتبار لا ينفي أن يكون المقصود هو: والد وما ولد إطلاقاً وأن تكون هذه إشارة إلى طبيعة النشأة الإنسانية, واعتمادها على التوالد. تمهيداً للحديث عن حقيقة الإنسان التي هي مادة السورة الأساسية"[٤].

يقسم الله سبحانه هذا القسم على حقيقة ثابتة في حياة الإنسان: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾.. في مشقة, وتعب, ومكابدة, "والكبد: المشقة تنبيهاً أنّ الإنسان خلقه الله تعالى على حالةٍ لا ينفك من المشاق ما لم يقتحم العقبة ويستقر به القرار"[٥].

ويمر الإنسان بمراحل دورة حياته وكلها مقرونة بالألم والمشقة, منذ يستقر نطفة في رحم أمه حتى ولادته, ومنذ اللحظة الأولى تبدأ المعاناة التي تصاحب النمو وصولاً إلى انتصاب القامة والتي تبدأ معها افتراق الطرق وتنوع المشاق في الحصول على لقمة العيش..

"إنّه الكبد طبيعة الحياة الدنيا. تختلف أشكاله وأسبابه, ولكنّه هو الكبد في النهاية, فأخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة لينتهي إلى الكبد الأشق الأمر في الأخرى. وقد أفلح الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهى عنه كبد الحياة, وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال الله."[٦].

ويحصل الإنسان الذي يكدح للأمر الجليل على المقام المحمود ويؤنس بقرب الحبيب..

إنَّ الإشعاع النوراني الإلهي الممتد من القسم بهذه الأرض المقدسة والمقيم بها وصولاً إلى الحقيقة الثانية في حياة الإنسان – ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ تسمو الروح المؤمنة في عالم ((الأنس بالله)) كي تجتاز العقبة في الحياة الدنيا أولاً ثم تصل إلى الاجتياز الأكبر في الآخرة. أي ما يكون في الحياة من ثبات على الإيمان وصبر على التكاليف يوصلك إلى الراحة الكبرى – الفلاح-.

الوقفة الثانية: تصورات الإنسان وظنونه وغروره:

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾

أيظن الإنسان أنّه لنْ يقدر على عقابه أحد إذا عصى الله جلّ جلاله وبطش وطغى؟ فبئس الظن ذلك؟.

لقد خدى الإنسان الخالي قلبه من الإيمان والبعيد عن موقع الأُنس بالله بالقوة العضلية والعقلية التي وهبها الله عزّ وجل له, فبطش وفسق وعصى دون أن يخشى الذي وهبه!!.

ثم إذا دعي هذا الإنسان لعمل الخير وإنفاق المال يقول: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ إنّه متجبر, مغرور, واهم, أيحسب هذا المغتر بماله ألا يقدر عليه أحد يأخذ ماله؟ أيحسب أن الله عزّ وجل غافل عن معرفة مصدر جمعه للأموال والسبل الذي أنفقها؟.

قال رسول الله (ﷺ): "لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه؟ وعن ماله من أين جمعه وفيما ذا أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن حبنا أهل البيت." ابن عباس.

الوقفة الثالثة: فيض النعم في صلب تكون الإنسان يقابلها بالإجحاد:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾

الله عزّ وجل هو المنعم على الإنسان بفيض النعم التي لا تعد ولا تحصى, ولكن هنا يواجه الإنسان بنعمة الحواس التي تهديه في عالم المحسوسات, جعل له عينين على هذا القدر من الدقة في تركيبهما وفي قدرتهما على الإبصار.. وأعطاه أداة الحكمة والبيان والتعبير ((وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)).

قال رسولنا الكريم(ﷺ) إنّ الله تعالى يقول: "يا بن آدم, إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك, فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق, وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق..." وهذه النعم التي أنعم بها الله على الإنسان ليستدل بها على التوحيد وأن تعينه على الهدى.. عيناه بما تريان في صفحات هذا الكون من دلائل القدرة وموحيات الإيمان, وهي معروضة في صفحات الكون مبثوثة في حناياه, ولسانه وشفتيه وهما أداة البيان والتعبير, وعنهما يملك الإنسان أن يفعل الشيء الكثير, وبحصاد اللسان يجزى الإنسان..

عن معاذ بن جبل(رضي الله عنه) قال: "كنت مع النبي(ﷺ) في سفر, فأصبحت يوماً قريباً منه, ونحن نسير, فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة, ويباعدني عن النّار, قال: سألت عن عظيم وإنّه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً, وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألّا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: الصوم جنة, والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار, وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين, ثم تلا قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: كف عليك هذا, وأشار إلى لسانه. قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك! وهل يكب الناس في النار على وجوههم.. إلّا حصائد ألسنتهم؟" رواه أحمد والترمذي.

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ أي سبيل الخير والشر ومعرفة الطريق إلى الجنة والطريق إلى النار, وإعانته على الخير بهذه الهداية..

"هذه الآلاء كلها له تدفع هذا (الإنسان) إلى اقتحام العقبة التي تحول بينه وبين الجنة"(٧).

الوقفة الرابعة: اقتحام العقبة بقوة الإيمان والأنس بالله:

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾.

"هذه هي العقبة التي يقتحمها – إلّا من استعان بالإيمان- هذه هي العقبة التي تقف بينه وبين الجنة, لو تخطاها لوصل! وتصويرها كذلك حافز قوي, واستجاشة للقلب البشري, وتحريك له ليقتحم العقبة وضحت ووضح معها أنّها الحائل بينه وبين هذا المكسب الضخم.. ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾! ففيه سادتهم العتاة, وأسلموهم إلى تعذيب لا يطاق. وبدا أن طريق الخلاص لهم هو تحريرهم بشرائهم من سادتهم القساة.."(٨).

وقد ورد أنَّ فك الرقبة هو المشاركة عتقها, وأنّ العتق هو الاستقلال بها.. وروي عن البراء ابن عازب قال: "جاء إعرابي إلى النبي(ﷺ) فقال: يا رسول الله, علمني عملاً يدخلني الجنة, قال: إن كنت أصرت الخطبة لقد عرضت المسألة, اعتق النسمة وفك الرقبة, فقال: أو ليسا واحداً؟ قال: لا, عتق النسمة أن تنفرد بعتقها, وفك الرقبة أن تعين في ثمنها, والفيء على ذي الرحم الظالم, فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع, واسقِ الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر, فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلّا عن الخير."(٩).

إنَّ السير على النهج المحمدي الشريف وآل بيته الأطهار في تطبيق شريعة الإسلام يوصلنا إلى بر الأمان واجتياز العقبة, سواء كان ذلك بفك رقبة أو عتق نسمة من عبودية الأسياد في زمن الرّق, أو القيام بالأعمال الصالحة لوجه الله تعالى, وبهذا يكون العبد قد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات.. تحضيض ودفع وترغيب! ثم تفخيم لهذا الشأن وتعظيم: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾!.. "إنّه ليس تضخيم العقبة, ولكنّه تعظيم شأنها عند الله, ليحفز به (الإنسان).. إلى اقتحامها وتخطيها, مهما تتطلب من جهد أو كبد.. فالكبد واقع واقع. وحين يبذل لاقتحام العقبة يؤدي ثمره ويعوض المقتحم عما يكابده"(١٠).

ثم يبدأ بكشف الحجب عن العقبة وبيان طبيعتها بالأمر الذي كانت البيئة التي تواجهها الدعوة الإسلامية في أمس الحاجة إليه وهي:

أولاً: فك الرقاب من عبودية الأسياد:

وفك الرقبة عتقها.. "﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد/١٣], قيل هو عتق المملوك, وقيل: بل هو عتق الإنسان نفسه من عذاب الله بالكلم الطيب والعمل الصالح, وفك غيره بما يفيده من ذلك, والثاني يحصل للإنسان بعد حصول الأول, فإن من لم يَهْتدِ فليس في قوته أن يَهْدي"(١١).

ويقول صاحب الظلال: "قد نزل الرضى والإسلام في مكة محاصر, وليست له دولة تقوم على شريعته. وكان الرق عاماً في الجزيرة العربية وفي العالم من حولها, وكان الرقيق يعاملون معاملة قاسية على الإطلاق. فلما أن أسلم بعضهم كعمار بن ياسر وأسرته, وبلال بن رباح, وصهيب.. وغيرهم – رضي الله عنهم جميعاً- اشتد عليهم البلاء من سادتهم العتاة, وأسلموهم إلى تعذيب لا يطاق.. وبدا أن طريق الخلاص لهم هو تحريرهم بشرائهم من سادتهم القساة.."(١٢).

ثانياً: إطعام الطعام في يوم ذي مسغبة:

"الطعام هو اسم جامع لكل ما يؤكل"(١٣). وقد اختص بالبر فيما روى أبو سعيد: "أنّ النبي(ﷺ) أمر بصدقة الفطر صاعاً من طعام او صاعاً من شعير, وقد يستعمل طعمت في الشراب كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة/٢٤٩] وقال بعضهم: إنما قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ تنبيهاً أنه محظور أن يتناول إلّا غرفة مع طعام.."(١٤).

وقد بيّن رسولنا الأعظم(ﷺ) أنّ ماء زمزم المباركة طعام يغذي بخلاف سائر المياه.. عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ): "زمزم طعام طعم, وشفاء سقم" أخرجه البزار بإسناد صحيح.

لقد اقترن اجتياز العقبة بالإطعام في يوم المجاعة﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾أي يوم المجاعة الذي يعز فيه الطعام وفيه اختبار لحقيقة الإيمان.. قال ابن عباس: "يريد بالمسغبة الجوع وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله(ﷺ): من أشبع جائعاً في يوم سَغب, أدخله

الله يوم القيامة من باب من أبواب الجنة, لا يدخله إلّا من فعل مثل ما فعل, وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله(ﷺ): من موجبات المغفرة إطعام المسلم السبخان"[١٥].

وقد حددت السورة المباركة هوية السبخان الذي بإطعامه تجتاز العقبة أيُّها المنفق في سبيل الله..

أ. اليتيم من قرابة النسب والرحم ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: وهذا حث على تقديم ذوي القربى واليتامى والمحتاجين على الآخرين في الإطعام والانعام..

روي عن محمد بن عمر بن يزيد قال: "قلت لأبي الحسن الرضا(رضي الله عنه): إنَّ لي ابناً شديد العلّة, قال: مرهُ يتصدق بالقبضة من الطعام بعد القبضة فإنّ الله تعالى يقول: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾وقرأ الآيات﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾"[١٦].

وقد حفل القرآن الكريم بالوصية باليتيم من ذوي القربى والآخرين لأنّه محك للمشاعر الإيمانية من رحمة وعطف ومراقبة لله في عياله المعوزين..

ب. الفقير اللاصق بالتراب من شدة الجوع.. ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾:

وهذا حث على البحث عن عيال الله المساكين الذي لصقوا بالتراب من شدّة عوزهم وضرهم.. وروى مجاهد عن ابن عباس أنّه قال: "هو المطروح في التراب لا يقيه شيء"[١٧].

فإذا وجدنا هذا العبد وأحسن إليه بإطعام الطعام والإنعام قربة لوجه الله تعالى فقد اجتزنا العقبة بإذن الله تعالى.

وإذا وقفنا وقفة روحية أمام اجتياز العقبة وأبحرنا في عالم الغيب والشهادة لوجدنا أنَّ العبد المؤمن الذي قام بهذه الأعمال الصالحة من فك الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة هو من بين الذين تمكن الإيمان من روحهم الزكية فتواصوا فيما بينهم بالصبر والمرحمة..

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾:

ويرى صاحب الظلال "((ثُمَّ)) هنا ليست للتراقي الزمني, إنّما هي للتراقي المعنوي باعتبار هذه الخطوة هي الأشمل والأوسع نطاقاً والأعلى أفقاً. وإلّا فما ينفع فك رقاب ولا إطعام طعام بلا إيمان. فالإيمان مفروض وقوعه قبل فكّ الرقاب وإطعام الطعام. وهو الذي

يجعل للعمل الصالح وزناً في ميزان الله. لأنه يصله بمنهج ثابت مطرد. فلا يكون الخير فلتة عارضه ترضية لمزاج متقلب, أو ابتغاء محمده من البيئة أو مصلحة"[١٨].

إنَّ الاستقامة على الإيمان وتحمل أعباء التكاليف في الأرض, تحتاج إلى الصبر وهو عنصر ضروري للإيمان بصفة عامة, ولاقتحام العقبة بصفة خاصة.. وهو من عزم الأمور, قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[لقمان/١٧].

إنَّ هذه الجماعة المؤمنة متماسكة متعاونة يوصى بعضهم بعضاً بالتمسك بعنصر الإيمان ((الصبر)) وهذا يضيف لها درجة أخرى فوق درجة الصبر..

ثم تتوج بالتواصي بالمرحمة وهو أمر زائد على المرحمة.. شعور صميمي يتعارف عليه الجميع ويتعاون عليه الجميع.. ويتضح لنا روحياً ما يأتي:

١. الإيمان مفروض وقوعه قبل فك الرقبة أو الإطعام في يوم ذي مسغبة.
٢. تمكن الإيمان من الروح المؤمنة يجعل للعمل الصالح وزناً في ميزان الله عزّ وجل.
٣. الصبر عنصر ضروري من عناصر الإيمان بشكل عام.
٤. الصبر عنصر ضروري من عناصر الإيمان في اجتياز العقبة.
٥. الرحمة هي الرقة التي تقتضي الإحسان إلى الآخرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾وهي عنصر أساسي من عناصر الإيمان في اجتياز العقبة.
٦. التواصي درجة أعلى فوق الصبر والمرحمة تكشف عن:

أ. تماسك الجماعة المؤمنة وتواصيها وتعاونها على تكاليف الإيمان.
ب. يثبت المؤمنون بعضهم البعض فلا تخاذل ولا هزيمة.
ت. يحول الشعور في تأدية تكاليف الإيمان ((الصبر, والمرحمة)) من الشعور الفردي إلى الشعور الجمعي.. وتصبح ثقافة متعارف عليها الجميع ويتعاون عليها الجميع.. أولئك الذي يقتحمون العقبة – وهم أصحاب الميمنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾وهم أصحاب الحظ والسعادة.

وبعد هذه الوقفة الروحية في عالم الإيمان وما أضفى على الروح من ظلال الترغيب في اجتياز العقبة, يأتي الترهيب وتظهر صورة الذي كفروا بآيات الله, فلا يحتاجوا إلى فكّ رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة, لأنَّ لا حسنة مع الكفر.. لقد أضلوا طريق الإيمان فكانت النار

المؤصدة بانتظارهم.. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾.. أي أصحاب الشمال الذين بقوا وراء العقبة ولم يقتحموها.. خالدين في نار مؤصدة: أي مغلقة.

إنَّ سورة البلد المباركة بهذا الحيز الصغير تقدم للإنسان بقوة ووضوح من هو الذي يختار العقبة ومن هو الباقي وراء العقبة, وما بينهما من جنة ونار.

ويمكن تحديد الحقل الطاقوي للمؤمن في سورة البلد بحساب الدنيا, لأنّه في الآخرة في جنات النعيم.

العبد المؤمن ← ١٢٠٠ ميل

العبد المؤمن الذي تحلى بالصبر ← ١٢٠٠ × ٧٠٠ = ٨٤٠٠٠٠ ميل.

العبد المؤمن الذي تحلى بالمرحمة ← ١٢٠٠ × ٧٠٠ = ٨٤٠٠٠٠ ميل.

العبد المؤمن الذي أوصى بالصبر ← ١٢٠٠ × ٧٠٠ = ٨٤٠٠٠٠ ميل.

العبد المؤمن الذي أوصى بالمرحمة ← ١٢٠٠ × ٧٠٠ = ٨٤٠٠٠٠ ميل.

٨٤٠٠٠٠ + ٨٤٠٠٠٠ + ٨٤٠٠٠٠ + ٨٤٠٠٠٠ = ٣٣٦٠٠٠٠ ميل

العبد الذي هيأ نفسه لاجتياز العقبة لديه حقل طاقوي بمقدار ← ٣٣٦٠٠٠٠ ميل

المرحلة الأولى ← فك رقبة ٣٣٦٠٠٠٠ × ٧٠٠ = ٢٣٥٢٠٠٠٠٠٠ ميل

المرحلة الثانية ← إطعام في يوم المجاعة ٣٣٦٠٠٠٠ × ٧٠٠ = ٢٣٥٢٠٠٠٠٠٠ ميل

المرحلة الثالثة ← إطعام اليتيم ٣٣٦٠٠٠٠ × ٧٠٠ = ٢٣٥٢٠٠٠٠٠٠ ميل

المرحلة الرابعة ← إطعام يتيم ذا قربى ٣٣٦٠٠٠٠ × ٧٠٠ = ٢٣٥٢٠٠٠٠٠٠ ميل

المرحلة الخامسة ← إطعام الفقير ٣٣٦٠٠٠٠ × ٧٠٠ = ٢٣٥٢٠٠٠٠٠٠ ميل

المرحلة السادسة ← إطعام الفقير ذا مترية ٣٣٦٠٠٠٠ × ٧٠٠ = ٢٣٥٢٠٠٠٠٠٠ ميل

إن العبد المؤمن الذي أوصى بالصبر وبالمرحمة إنما له حقل طاقوي بعيد المدى يوصله إلى مرتبة عالية.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر/١٠], هذا عطاء من الله الكريم إلى العبد الصابر عطاء كبير بغير حساب.

هوامش البحث

(١) جامع السعادات: ٥٨١.

(٢) مجمع البيان لعلوم القرآن, الطبرسي: ٢٠٠/١٢.
(٣) جامع السعادات: ٥٨١.
(٤) في ظلال القرآن: ٣٩٠٩/٦.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٩٥.
(٦) في ظلال القرآن: ٣٩١٠/٦.
(٧) في ظلال القرآن: ٣٩١١/٦.
(٨) في ظلال القرآن: ٣٩١٢/٦.
(٩) مجمع البيان: ٢٠٧/١٢.
(١٠) في ظلال القرآن: ٣٩١١/٦.
(١١) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٣.
(١٢) في ظلال القرآن: ٣٩١٢/٦.
(١٣) لسان العرب: مادة (طعم).
(١٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٩.
(١٥) جامع البيان: ٢٠٧/١٢.
(١٦) جامع البيان: ٢٠٧/١٢.
(١٧) م.ن: ٢٠٨/١٢.
(١٨) في ظلال القرآن: ٣٩١٣/٦.

قائمة المصادر و المراجع

*القرآن الكريم.
١. مفردات ألفاظ القرآن, الراغب الأصفهاني, تحقيق: صفوان عدنان داوودي, الناشر, ذوي القربى, قم, ٢٠٠٠م.
٢. جامع السعادات, المولى النراقي, منشورات الفجر, بيروت, لبنان, ط١, (د.ت) .
٣. مجمع البيان لعلوم القرآن, الحسن الطبرسي, المركز الثقافي اللبناني, بيروت, ط١, ٢٠٠٤م .
٤. في ظلال القرآن, سيد قطب, القاهرة, دار الشروق, ط٣٤, ٢٠٠٤م .
٥. لسان العرب, ابن منظور, دار صادر, بيروت, ١٤١٤ه .